

موقف الحزب من ميثاق الجامعة العربية

ان التعاون الذي حققه ميثاق الجامعة هو تعاون قاصر قد يتحقق مثله بين دول غربية متباينة في اللغة والعنصر والتاريخ، وبعيدة عن بعضها في الاقليم والقارة. فالميثاق في مجموعه إقرار لحالة التجزئة الراهنة في العالم العربي، وتوكيد للنزعات الشخصية في الفئات الحاكمة واذعان من دول الجامعة لسياسة الأمر الذي سهّل عليها التراجع امام مطامع الاجنبي ضد بعض اجزاء الوطن العربي، كاعترافها بعدم بلوغ فلسطين طور النضج السياسي، واهمالها شأن الاجزاء العربية الاخرى في افريقيا الشمالية وغيرها، وسكوتها عن الخطر الصهيوني وعن اغتصاب تركيا للواء اسكندرون.

(١) هذا الراي في الجامعة العربية، في الوقت الذي قيل فيه. يبدو ان فيه بعد نظر ومخالفة لجميع الآراء الاخرى - فأكثر الناس رحبوا بالجامعة العربية بنسب مختلفة. ولكن لم يتجرأ أحد على القول انها اداة لتثبيت التجزئة، وان ميثاقها بشكل خطوة منحرفة وليست سليمة. وان الزمن سيزيدها انحرافا.

الحكومات العربية في تلك الفترة وما قبلها بقليل كانت اما حكومات عميلة كعبد الله ونوري السعيد، او حكومات، رغم ان لها ماضيا وطنيا نضاليا. استسلمت بوصولها الى الحكم لمؤثرات الحكم. وسارت في سياسة لا تختلف كثيرا عن سياسة الحكومات العميلة، من حيث محاولتها الدائمة لكبح جماح الطموح القومي عند الشعب، وكبح جماح الروح التحررية. ويجاد الاعذار لتبرير التسهيلات امام الاجنبي المستعمر فنستطيع القول انه في ذلك الحين اي في وقت اصدار ميثاق الجامعة كانت الحكومات تعيش في جو نفسي يكاد يكون نقيض الجو النفسي الذي يعيش فيه الشعب العربي. بكلمة اخرى. الظرف كان ظرفا ثوريا ممتازا. لان التناقض بين سياسة الحكومات ومصصلحة الشعب كان واضحا للغاية. وكان باستطاعة حزب ثوري جريء ان يكسب التأييد الشعبي لمجرد فضحه لهذا التناقض. وكانت كل مساوئ الحكومات العربية ومواطن ضعفها قد تجمعت في الجامعة العربية - اي ان الجامعة كانت أسوأ وأضعف من الاعضاء المكونين لها. كانت الجامعة مطعوننة من اساس نشأتها لانها شكّلت وأسست بعد تصريح لوزير خارجية بريطانيا اثناء الحرب، يقول فيه ان بريطانيا تترتاح ان ترى الدول العربية تضمها جامعة. . . ووجودها في القاهرة كان يبعدها عن الجو القومي. عن الجو العربي الحار. وبالتالي عن التجاوب مع المشاعر الشعبية، وكانت خاضعة في الدرجة الاولى للملك مصر بصورة خاصة، الذي وضع امين الجامعة العام - عزام - من صنائعه، والذي كان في خطته ان يستخدم الجامعة لسط نفوذ الملك فاروق على الاقطار العربية.

والميثاق ضعف أمام الاجنبي وعدوانه، يترك الحرية المطلقة لهذه الدول في تعاقدها معه بينما يسجل حذرهما وخوفهما بعضها من بعض . فجاء هكذا فاضحا لحقيقة الساسة من رجال الحكم بالدول العربية، وخاصة في سوريا ولبنان، ومبطلا لادعاءاتهم ومزاعمهم عندما كانوا بعيدين عن الحكم بانهم يعملون لتحقيق الاهداف القومية، يوم كانوا متخذين صفة القيادة الوطنية . وقد ظهر اليوم انهم كانوا أسرع من غيرهم الى التنازل عن هذه الاهداف بدافع انانيتهم الشخصية وحرصهم على مراكز الحكم

فالحزب كان ينظر الى الوحدة العربية نظرة جديدة ومختلفة اساسيا عن نظرة السياسيين والحكام، اذ انه لم يكن يفضلها عن باقي نواحي السياسة بل يعتبرها احدى صور النضال في سبيل الاستقلال وفي سبيل التحرر الاجتماعي والعدالة الاجتماعية في حين انها كانت عند السياسيين والحكام ذات مفهوم تقليدي جامد وخذاع . كانت اكثر الحكومات خضوعا للاجنبي ورجمية في الوضع الاجتماعي تستطيع ان ترفع شعار الوحدة العربية وتكسب به تأييدا رخيصا، لانها كانت لاتؤمن بجدية هذا الشعار وامكانية تحقيقه . والواقع ان تلك السنوات (اواخر الحرب وما بعد الحرب مباشرة قد وصلت فيها العصبية الاقليمية ووحدة المصالح الاقليمية وحرص الحكام على مراكزهم وسلطتهم الى الذروة، بعد ان كان اكثر هؤلاء الحكام من غلاة الداعين للوحدة والمتمسكين بها قبل الوصول الى السلطة . لقد تجلى هذا بشكل خاص في سياسة رجال الحكم في سوريا ولبنان . فالحزب ثار على هذه الانتكاسة، وفضح تراجع الساسة الوطنيين وفضح اغراضهم الشخصية والطبقية، وسلط الانوار على اهمية الوحدة العربية وضرورتها الحيوية للعرب، وربطها بالاستقلال، وشكك في كل استقلال لا يوصل الى الوحدة او يمكن ان يتعارض مع الوحدة . وهذا نابع من نظرة الحزب الى الوحدة، فهو يرى ان عوامل عديدة قديمة وحديثة من بينها عامل الاستعمار الاجنبي تؤثر في شكل يرسخ الروح الانعزالية والمصالح الاقليمية ويبعد عن الوحدة . حتى كاد الاستقلال يعني في اول عهده بالنسبة الى بعض الاقطار العربية بأنه انفصال عن الجسم العربي واصطناع شخصية قوية جديدة للقطر الذي نال استقلاله . ففي سوريا مثلا، وهي السبابة الى التفكير والعمل الوحدويين كان توجيه الدولة بعد جلاء الجيوش الاجنبية توجيهها يركز على الشخصية السورية والطابع السوري . حتى ان صحيفة «الفيحاء» - وكانت تعتبر صحيفة رئيس الجمهورية - كتبت بمناسبة الجلاء معتبرة ان سوريا تستقل لأول مرة في التاريخ، وعدت العرب من جملة الفاتحين فكان الحزب يحارب هذه الانحرافات وهذا التشويه، ويعتبر ان الوحدة العربية لا يمكن ان تتحقق الا اذا اقترنت بفكرتها بحياة كل قطر، واعتبرت هي الاصل والاساس . وان الشخصية العربية هي الشخصية الاصلية لكل قطر عربي، وان الاستقلال القطري يجب ان يوضع في خدمة الوحدة والنضال من اجلها، والا فان الاقطار العربية مهددة بأن تسير بطريق التباعد والاختلاف الاقليمي المتزايد، وهذا ما كان متجسدا فعلا في الجامعة العربية فكان عملها سطحيا ومظهريا يخفي هذا الترسخ للتجزئة والمصالح الاقليمية تحت ستار خادع من الاتفاق والتفاهم . وكانت الجامعة علاوة على ذلك أداة بيد الحكومات ضد الشعب العربي، مثل حلف رجعي للمنوك والرؤساء ضد الشعوب . وقد تجلى هذا في عدة مناسبات، اذ كانت الجامعة تقف ضد الانطلاقات التحررية في البلدان العربية كموقفها من الانقلاب الذي وقع في اليمن ضد الامام يحيى، او كانت مهمتها تضييع المسؤولية وحماية الحكام من محاسبة شعوبها، كما في قضية فلسطين، والنزول بالاهداف العربية الى مستوى قدرة تلك الحكومات الضعيفة او العميلة، والاصرار على ان ذلك هو غاية ما يطمح اليه العرب . لقد ظلت الجامعة ستين طويلة تتجاهل المغرب العربي، وانه جزء من الوطن . لذلك كله وجد الحزب من واجبه ان يحذر الشعب العربي من الانخداع بالجامعة لئلا تكون بمثابة التخدير لحاجته العميقة الى الوحدة . وقد كتب الاستاذ ميشيل عفلق هذا الرأي ونشر في اول نشرة داخلية دورية في تاريخ الحزب .

ومنافعه . والمفروض في القادة، في شعب لم يكتمل وعيه ولم يستعد تجانسه، ان يكونوا سابقين له في الوطنية والوعي والتجرد، لامتخلفين عنه مضعفين لطموحه .
ان الميثاق «عمل عظيم» في نظر هؤلاء الرجال وفي نظر صحفهم الرسمية . ولكن الشعب العربي لم ينظر اليه الا على انه برهان جديد على ضعف القيادة الوطنية ونقص كفاءتها واخلاصها .

ليس الميثاق في نظرنا خطوة قصيرة فحسب، نرجو ان يسمح المستقبل بتوسعها، ولكنه بالنظر هذه الشوائب التي تدخلة خطوة منحرفة ضالة، نخشى ان يزيد المستقبل في خطرها ويوسع اضرارها .

ولو كان ضعف التعاون العربي وليد ضرورات قاهرة تفرضها ظروف خارجية، لكان ثمة أمل في تعاون آت اكثر نموأوقوة . ولكن الميثاق يبرهن على وجود نقص في وضوح الفكرة العربية وتمكّنها من نفوس الرجال الرسميين واذهانهم . فلا بد اذن من ان يستيقظ الشعب العربي ليسترد قضيته من الايدي التي لاتصلح لتوجيهها . فرجال الحكم المشويبون في صدق ولائهم للفكرة العربية، والمسخرّون لشتى الاعتبارات والمصالح الشخصية التي تضطّهم الى مسايرة السياسة الاجنبية، لا ينتظر منهم افصاح صادق عن اماني الامة، وهذه الاماني لانظهر على حقيقتها الا في المؤتمرات والمنظمات التي يبادر الى عقدها وتأليفها رجال الامة الشاعرون بواجبهم نحوها . فيجب ان يمثل ميثاق الجامعة آمال الامة العربية تمثيلا رائعا، لا ان يضع الشوائب التي تعوق نموها الطبيعي وسيرها الى الوحدة العربية، التي لاتزال، كما قال الاستاذ صلاح الدين البيطار - في خطابه في ٨ آذار سنة ١٩٤٤ :-

«حلم العرب الاسمى، فالامة العربية واحدة، والعرب ليسوا بقادرين على التخلي عن هذا المثل الاعلى، او انهم ينكرون ذاتهم . ونحن اذ نتطلع الى هذه الوحدة بين اقطار العرب، لانتجاهل الواقع في السياسة، ولكن الاستقلال الذي ننشده هو الذي يتقدم بنا في طريق هذه الوحدة، والسياسة التي نتبعها هي التي تضع حجرا ثابتا في بناء هذه الوحدة . لذلك نحن لانرى في الاستقلال والوحدة غير اسمين لشيء واحد، وهو سيطرة الامة العربية على مصيرها، بل ان في الوحدة العربية ضمانة هذا

الاستقلال».

وعلى هذا لانكر ان ما يجري اليوم من مشاورات هو خطوة، وان كانت خطوة بسيطة. ولكن الضرر يقوم في ايها الشعب العربي بأنها هي الوحدة الحقيقية. فالوحدة الحقيقية تفترض على القائمين بتحقيقها وجود فكرة صحيحة واثبات هذه الفكرة، مع اننا نعتقد ان الحكومات العربية ورجالها لم يكونوا بعد هذه الفكرة الصحيحة الواضحة ذات الاتجاه العربي الصرف، وليس لهم من ايمانهم ما يسمح بالتغلب على انانيات شخصية ومصالح اقليمية، في سبيل الظفر لفكرة الوحدة العربية.

مكتب البعث العربي

النشرة الدورية (رقم ١)

١٢ نيسان ١٩٤٥